التَّجَلِّيَاتُ النَّرْجِسِيَّةُ فِي غَـزَلِ عُمَر بنِ أَبِي رَبِيعَة

أ.م.د. ناصر محمد دحان أحمد*

الملخص:

يُعَدُّ عُمر بن أبي ربيعة من الشعراء الغزليين في العصر الأُمويّ، وقد تجلَّت ظاهرة النرجسية في شعره الغزلي بشكل واضح. **ويهدف** هذا البحث إلى تسليط الضوء على هذه الظاهرة، والبحث عن ماهيتها ومفهومها، وبواعثها ودوافعها عند الشاعر، والكشف عن مظاهرها وتجلياتها في شعره الغزلي. وقد افتتح البحث بمقدمة تلاها التعريف بالشاعر ومفهوم النرجسية، وبيان بواعث النرجسية عند الشاعر، وبعد ذلك شُرِعَ في البحث عن مظاهر النرجسية وتجلياتها في غزل الشاعر. وقد خُتِمَ هذا البحث بخاتمة تضمنت أهم نتائجه التي كان من أبرزها أن ظاهرة النرجسية شكَّلت في شعر عمر بن ربيعة مِيزَة كبيرة تمَيّزه عن نظرائه من شعراء الغزل الحضري في بيئة الحجاز في العصر الأُمَويّ، وكشف هذا البحث عن الأسباب الكامنة وراء نرجسية الشاعر، وبيَّن البحث بجلاء تام أبرز المظاهر النرجسية في غزل الشاعر، المتمثلة **أولا**: في **(المظاهر النفسية)** التي تتركز على الذات، من حيث الإعجاب الشديد بنفسه والفخر بها، وتَغَزُّله بنفسه، وتصوير شدة كلف النساء به، وإظهار تمنّعه ودلاله عليهن، **وثانيا**: في **(المظاهر الفنية)** من حيث الإكثار من ذكْر اسمه ولقبه وكنيته، وجمالية البنية السردية، وشعرية الوصف.

الكلمات المفتاحية: النرجسية؛ الغزل؛ المظاهر النفسية؛ المظاهر الفنية.

* أستاذ الأدب القديم المشارك – قسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة تعز – الجمهورية اليمنية.

الآداب للدراسات اللغوية والأدبية
مجلة علمية فصلية محكمة
تعنى بالدراسات اللغوية والأدبية
(EISSN): 2708-5783 ISSN: 2707-5508

Egomania in Omar Ibn Abi Rabeeah's Erotic Poetry

Dr. Nasser Mohammed Dhhan Ahmed*

Abstract:

This research aims to shed light on the phenomenon of egomania appeared in the poetry of Omar Ibn Abirabeeah: its definition, concept, reasons and lineaments. The research is divided into an introduction followed by the poet's biography, the concept of the egomania, its reasons. and the egomania in the poet's works. The research is concluded by mentioning its results which show that this poet is distinguished from other erotic poets in Umayyad era. This study also reveals the implicit reasons of this poet's egomania. First, the psychological lineament, focusing on his ego which includes his honor, self-admiration, the depiction of women's love toward him and his rejection. Second, the artistic lineament that has different sides appeared in his first and last names.

Keywords: narcissism; spinning; Psychological manifestations; Technical manifestations.

المقدمة:

إن النّرجسيةَ تُعَدُّ من الظواهر البارزة في شعر عمر بن أبي ربيعة؛ فقد كان مُعجبا بنفسه ومغرورا بها، ودائم التّحدُّث عن مكانته، وعن حبِّ النساء له، فقد كان ينزل نفسه منزلة المعشوق

*Associate Professor of Ancient Literature - Department of Arabic Language - College of Arts - University of Taiz - Republic of Yemen.

لا العاشق، ويصف نفسه كثيرا؛ لأنه كان جميلا، وكانت النساء تعجب به، وقد غالى كثيرا في ذلك الإعجاب.

ويسعى هذا البحث ليكشف عن هذه الظاهرة النفسية والأدبية عند الشاعر؛ وذلك بالبحث عن ماهيتها ومعرفة أسبابها وبواعثها وذكر أبرز مظاهرها وتجلّياتها في شعره الغزليّ.

وقد اتَّخَذَ الباحثُ المنهجَ النفسيَّ وسيلة لتَتبُّعِ هذه الظاهرة النّرجسيَّة في شعره الغَزَلِيّ، مع الإفادة من المنهج السردي في إضاءة هذه الظاهرة وتفسيرها نفسيا وفنيا، والكشف عن تجلياتها في نصوصه الشعرية.

وفي هذا البحث **سنُفصِّل القول** في هذه الظاهرة النرجسية عند الشاعر وفق المباحث الآتية:

المبحث الأول: التعريف بالشاعر، ومفهوم النرجسية.

المبحث الثاني: بواعث النرجسية، ودوافعها عند الشاعر.

المبحث الثالث: مظاهر النرجسية، وتجلياتها في شعره الغزلي.

المبحث الأول:

التعريف بالشاعر ومفهوم النرجسية:

أ. التعريف بالشاعر

نسبه: هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة، واسم أبي ربيعة حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لُؤي بن غالب بن فهر، وهو شاعرٌ مخزوميّ من قريش من أهل مكة، ومن أسرة ثريّة واسعة الثراء، وهي أسرة بني مخزوم[1].

وكان أبوه عبد الله تاجرًا من تجار مكة في الجاهلية، ومتجره اليمن، وكانت قريش تسميه العدل؛ لأنه كان يكسو الكعبةَ في الجاهلية سنة وتكسوها قريش سنة، ويروى أن الرسولَ -صلى

الله عليه وسلم- ولّاه إقليم الجَنَد باليمن، وقد تزوّجَ أبوه امرأةً يَمنيّة تُسَمّى مجدًا، فعُمَرُ إذَنْ يَمَنِيُّ الأُمّ قُرَشيّ الأب. ولم يزَلْ أبوه واليًا على (الجَنَد) حتّى تُوفِّيَ أثناء حصار العرب للخليفة عثمان بن عفَّان -رضي الله عنه- سنة 35 للهجرة[2].

حياته: ولد عُمَر بن أبي ربيعة سنة 23هـ/ **664م**، ووقعت ولادته يوم مقتل الخليفة عمر بن الخطاب؛ فَسُمِّيَ باسمِه وكُنِّيَ بكُنيتِه[3].

ولم يكنْ يتجاوز الثانية عشرة من عُمْره حين تُوفِّيَ أبوه فكَفَلتْه أمُّه، وقامت على تربيته، بل كانت تقوم بهذه التربية، وأبوه والٍ على الجَنَد باليمن. وقد نَشأَ نَشْأةَ دلالٍ وكانت أُمُّه غريبةً، فاشتدَّ ولعَهَا بابنها فكانت لا تفارقه، وكان لا يُفارقُها، وكانت تبالغ في هيْئَتِهِ وزينته وعطره، وكلّ ما يتَّصِلُ به، واستمر ذلك دأبه طوال حياته[4].

إنّ حياةَ عمر بن أبي ربيعة كلها ترف ودلال وجمال وغنى وشاعرية، وجميع هذه العناصر لديه وجَّهَتْه إلى نمَطٍ من الحياة الناعمة اللاهية، ويُرْوَى أنه كان يستغلُّ موسمَ الحجِّ، فإذا أتى هذا الموسم لبِسَ الحُلَل الفاخرة، وخرج يتلقّى الحَاجَّات من المدينة والشام والعراق فيَتَعرَّض لهنّ، ويَتتَبّعهن إلى مناسك الحجّ، ويترقّب خروجهن للطواف حول الكعبة، فيصفهن في شعره ويَتَغزَّل بهنّ[5].

وقد نمت الحياة الاقتصادية والتجارية وازدهرت في الحجاز في العصر الأموي؛ وكان لهذه الحياة المترفة، وانتشار مجالس الغناء والموسيقا في تلك البيئة الحضرية الأثر الكبير في تكوين شخصية عمر.

شعره: يُعدُّ شعر عمر بن أبي ربيعة في سماء الشِّعريّة العربية القديمة؛ نظرًا لما في شعره من حساسية اجتماعية وجمالية، وقد جَعَله ذلك يُرسي أُسُسًا فنيّة لشعر الغزل والحب، فكانت قصائده تُمَثِّل وثيقةً تاريخيةً وأدبيةً تُصوِّر واقع الحياة في تلك المرحلة؛ لما فيها من تجسيد لعواطف إنسانية تَخصّ الإنسان في كل زمان ومكان.

وللشاعر ديوانٌ شعريٌّ مطبوع يكاد يكون جُلّه في الغزل الذي يصور بيئة الترف الحجازية حينذاك، وموضوع شعره كله يدور حول المرأة والغزل[6].

وفاته: يقول بعض الرواة: إن عُمرَ ماتَ وقد قاربَ السبعين أو جاوزها، وإذا صحّ ذلك يكون قد توفى سنة 93 للهجرة[7].

ب . مفهوم النرجسية

تختلف المعاجم في أصل هذه الكلمة، حيث يرجع بعض اللغويين أصلها إلى اللغة الفارسية (نَرْجِس)، ويرجع البعض الآخر أصلها إلى اللغة الإغريقية.

وتعني النرجسية: نباتا من الرياحين أصله بصل صغار، له زهرٌ أبيض مستدير، وهي زهرة من أزهار الربيع، يوناني من نركسوس[8]. والنرجس: "نبت من الرياحين وهو من الفصيلة النرجسية، ومنه أنواع، وتزرع لجمال زهرها وطيب رائحته، وزهرته تُشَبّه بها الأَعْيُن، واحدته نرْجِسة"[9] .

وجاء في لسان العرب : "نرجس: النَّرْجِس، بالكسر، من الرياحين: معروف، وهو دَخِيلٌ. ونِرْجِس أَحْسَنَ إذا أُعْرِبَ، وذكره ابن سِيده في الرباعي بالكسر، وذكره في الثلاثي بالفتح في تَرْجَمَةِ رِجْسٍ"[10].

والنّرجسيّة: مصدرٌ صِنَاعي من نَرْجِس/ نِرْجِس، وتعني: إعجاب المرء بنفسه وافتتانه بها[11].

ويرجع أكثر علماء المعاجم أصل اصطلاح هذه الكلمة إلى الأسطورة اليونانية، ويطلق أحيانا على زهرة تنبت حول الماء، وتنظر إلى الماء.

ولا ريب في أن النرجسية استمدّت مفهومها من أسطورة (نرسيس) الذي تَباهَى بجماله، فكان يمشي على ضفة النهر ويطلّ برأسه على الماء مُعجبًا بحسنه وجماله؛ فغضبت منه الآلهة،

فمَسَختْه، فكان زهرة النرجس التي تنبت على ضفاف الأنهار، وتُرَى منحنية الرأس دائما وجهة الماء[12].

وقد استخدم مصطلح النرجسية من طرف (هافيلوك إيليس) في سياق الطب النفسي 1898م، وقد عَرّفه (رانك) بأنه: الزهو والإعجاب الذاتي[13].

إذن، فالنرجسية تُحِيل إلى تركيز الفرد على ذاته، وهذا ما استقر عند تعريف (فرويد) لها سنة 1927م، فهي: "تَمَركُز الاهتمام السيكولوجي على الأنا"[14]. ولذا فإن تركيز الإنسان على ذاته وإظهار الحب لها والعجب بها يؤدي إلى ما يعرف بالنرجسية.

وتعني النرجسية في الأدب: الاستعلاء والفخر بالذات والتَّمدُّح بالأفعال والعجب وإكثار الشاعر من ذكر اسمه ولقبه، وتغزله بنفسه، بحيث يجعل من نفسه بديلًا من حبيبته، فيتغزل بنفسه أكثر منها، وبذلك يعشق ذاته ويتباهى بها.

وبعبارة دقيقة نقول: إن النرجسية مصطلح أدبي جاء تَعْبيرًا عن الإعجاب المفرط بالذات إلى درجة العشق والولع بها، وتضخم الأنا[15].

ولعلّ من سمات الشخصية النرجسية: الميل إلى الظهور، والإفراط العاطفي، والميل إلى التملُّك، والشعور بالأنانية، والتَكَبُّر، والشعور بالأهمية، وعدم الرضى عن الآخرين[16].

وداء النرجسية أو الإعجاب بالذات يميل المصابون به إلى الغرور والتباهي، ومحاولة لفت الأنظار؛ فإذا أُصِيبَ فنان أو كاتب أو شاعر بهذا المرض فإنه يستبدُّ به الوهم، فيظن أنه البداية والنهاية، وبرغم الإحساس بِوَهْم العظمة الذي يسيطر عليه فإنه يعاني من اضطرابات نفسية، والخوف (الفوبيا) من السقوط من برجه العالي، ومكانته الوهمية؛ فيجعله يميل إلى الغيرية والانتقام من الآخرين. ولا شكَّ في أنَّ الأنا عبارة عن جدار وهمي بناه مَنْ اعتنى بها، فحال بينه وبين الآخرين؛ ما جعله لا يرى أحدا؛ فأشرب النرجسية وحب الذات حتى تمكنت من تصرفاته[17].

المبحث الثاني:

بواعث النرجسية ودوافعها عند الشاعر:

إذا كانت النرجسية تعني الفخر والاستعلاء والإعجاب بالنفس، والتمدُّح بالأفعال وحب الذات، فإن هذه الظاهرة وجدت عند بعض الشعراء، ولكن بإشارات قصيرة إلى حب الذات، وليس بالاتِّساع الموجود عند عمر بن أبي ربيعة؛ فإذا قرأنا في أشعاره الغزلية سنجد أنه كان في أكثر أشعاره يتحدث عن نفسه وحب النساء له، وقد ينزل نفسه منزلة المعشوق أكثر من أن يكون عاشقا، بل كان يصف نفسه كَثيرًا؛ لأنّه كان شديد الوسامة، وكانت تعجب به النساء كثيرًا.

ولعلّ من أهمّ البواعث التي جعلت عمر بن أبي ربيعة نرجسيًّا ما يأتي:

أ . نشأته وأسرته

نشأ عمر بن أبي ربيعة في أسرة مرموقة ذات ترف ورفاهية، وأحاط بها الثراء الواسع من كل جانب، ولها مكانتها الاجتماعية والاقتصادية الخاصة، يقول طه حسين: "كان عمر بن أبي ربيعة من أسرة عظيمة الحظ من الشرف والمجد...، ضخمة الثروة جِدًا، فقد أفادت ثروتها الضّخمة من التجارة بين الحجاز واليمن"[18]. ولقد كان لهذه النشأة المترفة أثر عميق في حياة الشاعر؛ إذْ نَجِدْه شَابًّا بعيد المطامح، واسع الأهواء، يَعْتزُّ بثرائه ومكانته وحسبه ونسبه، ويرى أنه أفضل من غيره.

ب . البيئة

شغفت هذه البيئة الحجازية التي عاش فيها الشاعر بالترف والمتعة شغفًا كبيرًا، وانتشرت فيها مجالس الغناء ومنتدياته، فشاع الغناء والموسيقا والجواري والمغنيات، وازدهرت الحياة الاقتصادية، والتجارة.

ولا ريْبَ في أن البيئة الاجتماعية تساعد كثيرًا في تكوين شخصية الفرد، وتطبع مهاراته بطابعها، وتدفعه إلى الظهور، وهذا ما حَدَث لعُمر، فقد كان للبيئة التي نشأ فيها دورٌ بارزٌ في تكوين شخصيته التي تظهر من خلال شعره. وقصائده الشعرية تُصوّر واقع الحياة حينذاك، وتصوّر بيئة الترف الحجازية[19].

والجدير بالذكر هنا أن عمر بن أبي ربيعة -في هذه البيئة الحضرية- قد حوّلَ مركز القصيدة؛ إذ جعل مركزها نفسه، وليست المرأة، فأصبح معشوقًا وليس عاشقًا، وأصبحت المرأة هي التي تشكو تباريح الحب، وتسهر وتبكي من أجله[20].

ويؤكّد شوقي ضيف هذه النزعة النرجسية عند عمر، فيقول: "هذا جانب واضح في غزل عمر، بل هو خاصية تُميّزه عن غيره من الغزليين في الشعر العربي؛ فقد انعكست عنده هذه العاطفة، وشذَّ الشُّذوذ الذي حوله من عاشق إلى معشوق"[22].

ج. خضوعُ الشاعر للدَّلال الأنثويّ

لا شكَّ في أن عُمرَ قد رَبَّتْه أُمُّه؛ لأنَّ أبَاه كانَ مَشْغولًا بالحكم، فقد ولّاه الرسول على (الجَنَد) باليمن حينذاك، فلم يلزمه ابنه على ما يبدو أثناء ولايته، بل تَرَكَهُ وأُمَّه في مكَّةَ، وقد كان لقيام هذه السيدة بتربيته الأثر العميق على نفسيته، فنشأ نشأةَ دلالٍ، وكانت أُمُّه غريبةً في مكَّةَ، فاشتدَّ ولَعُها بابنها، فكانت لا تفارقه وهو لا يفارقها، فضلا عن مبالغتها في هيئته وزينته وعطره، وحالها حال أمهات الولد الواحد[22].

كما قامت أمه بتربيته بعد وفاة والده وهو صغير السن، فَدلَّلَتْه وعاشت له، وعشقته؛ فانعكس هذا الأمر انعكاسًا خاصًا في نفسية الشاعر، حيث كانت هذه العلاقة الخاصة مع أُمِّه هي البذرة الأولى للنَّرجِسيَّة التي انْغَمسَتْ في قلبه؛ فطَبَعَتْ في نفسه الزّهْوَ والعُجْبَ، لا سيّما إذا عرفنا اشتهاره بالجمال والوسامة، فكان ينظر إلى نفسه بعَيْنَيّ أُمِّه؛ فنشأ بِرُجولةٍ ضعيفةٍ وطبيعة

أُنْثويَّة متوافرة فيه، يقول شكري فيصل: "لا يبدو عمر من وراء هذه القصص وهذه الروايات رَجُلًا عارمَ الرُّجولةِ، ولا مُحِبًا أسقمَ الحُبُّ جِسمَه، وصَقَلَ نفسَه، وإنما هو شاعرٌ باردُ الرجولة، تافهُ العزم، يحبّ ولكنْ يريد من اللواتي يحبهن أن يتغزَّلْن به، وأن يمتدحن محاسنه، وأنْ يُشدن بذكره، ويُدل عليهن كأنّما هو الأملُ وهُنّ المُؤَمِّلات"[23].

د. ضعفُ التَّعَصُّب والفخر بالقبيلة

برز التّعَصُّب والفخر بالقبيلة لدى شعراء الجاهلية بشكل جليٍّ نتيجة للظروف والحياة القائمة على المفاخرةِ والزَّهو بالأحساب والأنساب، وسِوَى ذلك؛ فالشاعر الجاهلي يفنى في قبيلته ويذوب فيها، ويمدحها، ولا يعتني بنفسه إلا مع قبيلته، ولكن هذه النزعة كانت ضعيفة في العصر الأُمَويّ، ولم يُهْتَم بها، وتراجع الشعراء إلى الفخر بالنفس والإعجاب بها، ومن هؤلاء عمر بن أبي ربيعة، ويؤكد بعض الباحثين ذلك، فيقول: "وتمكن عمر من إدخال تبديل شديد على التقاليد الشعرية، فعلى يديه تحطّمت تقاليد القصيدة، فلم يعد الشاعر مضطرًا إلى نظم قصيدة مُتَعَدِّدة الأغراض يُرتّب أغْراضَها ترتيبًا مُعيَّنًا، بل صارت له إنْ شاء بأبيات قليلة في موضوع واحد، من هذا نجد معظم شعره مقطوعات قصيرة خفيفة"[24].

ولعل أبرز ظاهرة في شعر عمر أنه يقتصر على موضوع واحد هو المرأة؛ ولذلك يمكن القول: إن عمر ليس من شعراء الفكر والخيال، وإنما هو شاعر الذكرى والأحاديث، فقد نشأ ميَّالا إلى التَّحُّدث والسَّمَر، وشعره وسيلة إلى الاتصال بالمرأة.

ونخلص من ذلك كله إلى أن شعر عمر الغزليّ يُعَدُّ دَلِيلًا صادقًا على نرجسيته التي ظهرت من خلاله، وهذا الشعر ينتمي إلى عالم الأدب، فهو نتاج النفس البشرية، والعلاقة بين الأدب والنفس الإنسانية وطيدة، ولا يستطيع أحد إنكارها؛ لأن النفس الإنسانية هي مكمن الفن والإبداع.

المبحث الثالث:

مظاهر النرجسية وتجلياتها في غزله:

إن شعر عمر بن أبي ربيعة يشفّ عن ملامح وجودية ونفسية، فهو يتّسم بالنمط الجمالي، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فهو تعبير خصب عما كان يُميّز عمر من نرجسية، وتتمثل النرجسية في أن حب الموضوعات يحلّ محل الذات، كما تتمثل في أن التقدير الزائد الذي يتّجه إلى شخص محبوب، يتّجه الآن إلى أنا الشخص، وبعبارة أخرى: إنه انغماس في صورة مشبوبة من حب الذات.

ويمكن لنا أن نجعل هذه المظاهر النرجسية التي تجلّت في شعره الغزليّ في قسمين كبيرين، القسم الأول: يختصّ بـ(**المظاهر النفسية**) التي تتمثل في التمركز على الذات، ولها عدة صور، ومنها: (الفخر بالنفس، والتغزل بها، وتصوير شدة تعلق النساء به)، والقسم الآخر: يتَمثّل في (**المظاهر الفنية**)، ولها عدة صور، منها: (إكثار الشاعر من ذكر اسمه ولقبه وكنيته في شعره، وجمالية البنية السردية، وشعرية الوصف). وسنفصل القول في هذه المظاهر على النحو الآتي:

أولا: المظاهر النفسية (التمركز على الذات)

1 . الفخر بالنفس والإعجاب بها

افتخر الشاعر عمر بن أبي ربيعة بنفسه وأعجب بها، وأكثر من ذكر ذاته وشَخْصه مُستَعْليًا على النساء، وحب الآخرين له، حيث جعل من نفسه بديلا من محبوبته. وبعبارة أدق: لقد تَضَخّم الفخر واشتدّ حتى كادت ذات عمر هي المحور فيه، حتى بدأ وكأنما كُنّ هُنّ أو هي سبيلا إلى أن يتحدث عن نفسه، وقد يُعرف في هذا المشهد أو ذاك، ولكن النهاية الطبيعية التي ينتهي إليها إنما هي ذات الشاعر[25]. ويلحظ في شعره الاستعلاء، فهو المُسْتَعْلِي على النساء والمُؤَمَّر عليهن، وهو بهذا يُعلي من شأنه من خلال حديثه أن النساء هن اللواتي يتعرَّضن له، ويرسلن إليه الرسائل، وبهذا يؤكّدْن له الاستعلاء على نحو قول إحداهن على لسانه:

فَأنْتَ أبَا الخطّابِ غيرُ مُدافعٍ عَلَيَّ أميرٌ ما مَكَثْتَ مُؤَمَّرُ [26]

وفي شعره الغزَليّ نماذج كثيرة مماثلة يتحدث فيها عن نفسه حديثًا مباشرًا حينًا، وحينًا آخر من خلال نفوسهن وعبر نظرتهن، ولعلَّ من مظاهر هذا الاستعلاء والفخر أن يُنطِقَ صواحبه في أقوالهن وأفعالهن، فهن اللواتي يرْسلْن إليه الرسل، فيقول:

أرْسَلَتْ هنْدٌ إليْنا رسُولًا عاتِبًا أنْ مَا لَنَا لاَ نرَاكا [27]

ويقول الشاعر في قصيدة أخرى:

أرْسَلَتْ نَحْوِيَ الرّسُولَ لِأَلْقَا هَا فَأرْسلْتُ عِنْدَ ذاكَ بِأَنْ لاَ
لسْتُ أسْطِيعُ للرَّسُولِ وأيقَنْـ ـتُ يَقينًا بِلوْمِهَا حينَ ولَّى
رَجَعَتْهُ إلَيَّ لمَّا أتاها وبِأيْمانِها عَلَيَّ تَأَلَّى [28]

يظهر من خلال الأبيات السالفة استعلاء الشاعر على النساء اللاتي شَغُفْن به، فقد أرسَلْن له رُسُلا تِلْوَ الرُّسل، ولم يُبْدِ جوابًا إلا بعد طول تمنُّع وصَدّ.

ومن صور هذا الفخر والاستعلاء بذاته ذكره في غزله شكوى النساء من الوشاية، وهؤلاء الوشاة عنده لا يأتون ليشكو هو منهم، وإنما تشكو عاشقاته منهم، فيقول:

أَمِنْ أجْلِ وَاشٍ كَاشِحٍ بِنَميمَةٍ مَشَى بيْننَا صَدَّقَتَهُ لمْ تُكَذِّبِ
قَطَعْتَ وِصَالَ الْحَبْلِ مِنّا ومَنْ يُطِعْ بِذِي وُدِّهِ قَوْلَ الْمُحَرِّشِ يُعْتَبُ [29]

نرى في هذين البيتين أن المرأة هي التي تشكو من الوشاة، وهي التي تطلب منه أن لا يُصَدِّقهم، وأن لا يقطع عنها حِبَالَ الوُدِّ والحبِّ؛ فيحققّ لهم أمنيتهم. ولمْ يكْتَفِ الشاعر بذلك، بل نجده يُصوِّر في شعره الغَزَليّ أنه هو الذي يهْجُر حبيبته من غير إساءة ولا ذنب اقْتَرَفَتْه، وكأنما يجد الشاعر لذّة في الهَجْر؛ لأنه يُعبِّر عمّا يريد من تيه واستعلاء، فيقول:

أرْسَـــلَتْ إذْ رَأَتْ بِعَـــادِي أنْ لاَ يَقْـبلَنْ بِـي مُحَرِّشًـا إنْ أتـاَهُ
لاَ تُطِـعْ فَـدتْك نَفْسِـي عَـدُوًّا لِحَـديثٍ عَلَـى هَـواهُ افْتَـرَاهُ
لَا تُطِـعْ بِـي مَـنْ لَـوْ رآنـي وإيَّـا كَ أسِـيرِيْ ضَـرُورَةٍ مَـا عنَـاهُ
واجْتنِابي بيْتَ الحَبِيبِ ومَا الخُلْـ ـدُ بأشْـهى إلَـيَّ مِـنْ أنْ أرَاهُ
مَـا ضِـرَاري نَفْسِي بِهَجْـرَةِ مَـنْ لَيْـ ـسَ مُسِيئًا ولاَ بَعِيدًا نَـوَاهُ [30]

ويُظهر لنا الشاعر في مقطوعة شعرية أخرى تصويره للنساء وهن يستعطفنه، وهو يبدي استعلاءه عليهن، فيقول:

تَقُـولُ وعيْنُهَـا تُـذْرِي دُمُـوعًا لَهَا نَسَقٌ علَى الْخَدَّيْنِ تجْرِي:
أَلَسْـتَ أَقَـرَّ مَـنْ يَمْشِـي لِعَيْنِي وأَنْـتَ الْهَـمُّ في الـدُّنْيَا وذِكْـري
أمَـا لَـكَ حَاجَـةٌ فِيمَـا لَـدَيْنا تكُنْ لكَ عِنْدنَا حَقًّا فأَدْرِي [31]

تظهر السمات النرجسية بشكل جلي وواضح من خلال هذه الأبيات التي فيها يُعلِي الشاعر من ذاته ومكانته بالرّغم أن المرأة هي التي تَتَضَرَّع إليه وتَسْتعطفه بدموعها الغزيرة التي تتساقط على خديها، وتَتَودَّد له، فتسأل عنه وعما يحتاج منها لتلبَّي طلبه على جناح السرعة، ولكنه يتثاقل عليها مُستعليا في برجه العالي الذي صنعه لنفسه، ويمتنع ولا يلبي طلبها.

وكذلك نجد الشاعر يُغالي كثيرًا في الإعلاء من شأنه؛ كونه يزعم أن النساء يُفَضِّلْن الموت على فراقه، فيقول على لسان إحداهن:

تَقولُ إذْ أيْقَنَتْ أَنِّي مُفَارِقُها يَا ليْتنِي مِتُّ قبَلَ اليوْمَ يا عُمرُ [32]

2 . غزله بنفسه

إذا أمعنا النظر في بعض أشعاره الغَزَلِيَّة سنجد أنّ الشاعر يتَغزَّل أو ينسب إلى نفسه، فقد كان يهوى الجمال، وكان صادقا في حبه للجمال أنَّى وجَدَه، وإذا كان يتغزَّل بنفسه أحيانا أكثر من

تغزله بصاحبته؛ فذلك لأنه جميل فأعجب بجماله أشد الإعجاب من جمال صاحبته، وقد انتقده بعض معاصريه، فلم يستطيعوا أن يردُّوه عن غروره؛ لأنه في وصفه نفسه لا يتكلّف تصنُّعًا، بل يتكلَّم بحسِّه وسمعه، حيث يقول:

بَيْنَمَـــا يَـــذْكُرْنَنِي أبْصَـــرْنَنِي دُونَ قَيْـدِ المِيـلِ يَعْـدُو بـي ألأغَـرْ

قُلْـنَ: تَعْـرِفْنَ الفَتَى؟ قُلْـنَ: نَعَـمْ قَـدْ عَرَفْناهُ، وهلْ يَخْفَى الْقَمَرْ؟[33]

فهذان البيتان يكشفان بجلاءٍ تامٍّ عن أنّ الشاعر كان مَشْغولًا بنفسه لا بَسيِّدات عصْره، وكأنما جماله أوْ حُسنه هَيَّأه لذلك، فالشاعر لم يتغزّل بالنساء، وإنما يتغزّل بنفسه، وكيف يغفل، وهو معجب بجماله كإعجابه بجمال صاحبته؟ ولعل تغزل الشاعر بنفسه يعود إلى جانب أنثوي في طبعه، ويتمثل ذلك الجانب في ولع الشاعر بكلمات النساء واستمتاعه بروايتهن والإبداء والإعادة فيها، وكذلك كان يشبههن في تدليل نفسه، وإظهار التمنع لطلباته.

وهناك الكثير من النماذج التي يتحدث فيها عن نفسه، وأنه لا يصف وقْع حب صاحبته في نفسه بقدر ما يصف حبّه في قلبها هي، ولذلك يمكننا القول: إن في غزل عمر نزعة نرجسية تَتَمثَّل في ميله إلى التغزل بنفسه؛ لأنه كان جميلا.

3 . تصوير الشاعر شدة تعلق النساء به

لا شَكَّ في أنَّ عُمَر بن أبي ربيعة كان يُكْثِر من الحديث عن كَلَفِ النساء به، وأنه المطلوب لا الطالب، وهو المعشوق لا العاشق، فالنساء مفتونات به، ويتصدين له، بل يَنْتَهِزْن كُلَّ فرصةٍ للقائه ويُشِرْنَ إليه باليَد حيْنًا وبالعيْنِ حينًا آخر، ويَغْمِزْنَه ضُروبًا شتَّى من الغَمْز، وهو في ذلك لا يَهْتَمُّ، ولا يَلتَفِتُ؛ دَلالًا وتِيهًا، وفي ذلك يقول:

قَالــتْ تَصَــدّيْ لــه لِيُبْصِــرَنَا ثُــمَّ اغْمِزِيــهِ يــا أُخْــتَ فـي خَفَــرِ

قَالــتْ لهَــا: قَــدْ غَمَزْتُــهُ فــأَبَى ثُـمَّ اسْـبَطَرَّتْ تَسْـعَى عَلَى أثَـرِي[34]

وكان الشاعر كثير التحدث عن نفسه، وعن تصوير ولع النساء به وإعجابهن به وحبهن له، وكيف أن النساء يسعين إليه وهو يَتَمَنّعُ ويأْبَى، ويختال ويتَدَلَّل، وقد تَحَدَّثَ كثيرًا في شعره، ولعلَّ أشدّ ما غالَى به هو زعْمه أنَّ النساءَ كُنَّ يَذْهَبْنَ إلى الْحَجِّ مِنْ أجْلِ اللِّقَاء به، فهو يقول:

أَوْمَـــتْ بِعَيْنَيْهَـــا مِـــنَ الهـــوْدَجِ لَـــوْلاكَ فِي ذَا الْعَـــامِ لَـــمْ أَحْجُـــجِ
أَنْـــتَ إِلَـــى مكَّـــةَ أَخْرَجْتَنِـــي ولَـــوْ تَرَكْـــتَ الْحَـــجَّ لَـــمْ أَخْـــرُجِ[35]

ويكشف الشاعر في أبيات أخرى عن خروج المرأة إليه بعد ما أمِنَتْ الرقيب ونام الأعداء الساهرون، فيقول:

حتى إذا أمِـنَ الرَّقِيْـبُ وَنُوِّمَـتْ عنَّـــا عُيُـــونُ سَـــواهِرِ الأَعْـــداءِ
خَرَجَـتْ تَـاَطَّرُ فِي ثَـلاَثٍ كَالـدُّمَى تَمْشِـي كَمَشْـيِ الظَّبْيَـةِ الأدْمـاَءِ [36]

ولم يكْتَفِ الشاعر بذلك، بل صوّر شكرها لله على لقائها به وفوزها بذلك، فيقول:

قَالتْ لِرَبِّي الشُّكْرُ هَذِي لَيْلَةٌ نَذْرًا أُؤَدِّيْهِ لهُ بِوَفِاءِ [37]

ويصف النساء وقد وجَدْن به غاية الغايات، فيقول في ذلك:

قَدْ حَلَفْتُ لَيْلَةَ الصُّورِيْنِ جاهِدَةً ومَـــا عَلَـــى المـــرءِ إلّا الصَـــبْرُ مُجْتَهِـــدَا
لِتُرْبِهَـــا وَلِأخْـــرى مِـــنْ مناصِـــفِهَا لقَـــدْ وجَـــدْتُ بـــه فَـــوْقَ الـــذِي وَجَـــدَا
لَوْ جُمِعَ النَّاسُ ثُمَّ اخْتِيرَ صَفْوَتُهُم شَخْصًا مِنَ الناسِ لمْ أعْدِلْ بِهِ أَحَدَا[38]

في هذه الأبيات تؤكِّد المرأة قسمها لصاحبتها ولأخرى تتْبعها شدّة تعلقها بالشاعر، وأنه غاية الغايات، إلى درجة أن الناس لو تجمّعوا كلهم في صعيد واحد، واختاروا واحدًا لاختارت هذه المرأة عُمَرَ بن أبي ربيعة فقط. ولذلك يمكننا أن نقول: إنَّ هذا الغزل العُمَرِي على لسان المرأة له دلالة جَليَّة تؤكِّد -بما لا يدع مجالًا للشَّك- نرجسية الشاعر من حيث حبّه لنفسه وإعلاء من شأنه ومكانته.

ثانيا: المظاهر الفنية

1 . الإكثار من ذكْر (اسمه ولقبه وكنيته)

لقد أكثر الشاعر من ذكر اسمه ولقبه وكنيته في أشعاره الغزلية، وهذا يُعدّ من الملامح اللغوية التي برع فيها الشاعر وأجاد، يقول العقّاد: "ولعلّ جانب الأنوثة لا يظهر من تدليل اسمه بين تَلْقِيب وتَكْنِية. وتَسْمِية، كما يعهد في أحاديث النساء، فهو تارةً أبو الخطاب، وتارةً المُغِيرِيّ، وتارةً عُمَر الذي لا يخفى كما لا يخفى القمر، وأشباه هذه الأنثويات التي يقارب بها المرأة من حيث المزاج" (39)، فهو يقول على لسان حبيبته (نُعْم) التي لقَّبَتْه بـ(المُغِيرِيّ):

قِفي فَانْظُري أسْماءُ هل تَعْرِفِينَهُ أهَـــذَا المُغِيــرِيُّ الَّـــذِي كَـــانَ يُـــذْكَرُ

أهذا الذي أطْرَيْتِ نعْتًا فَلَم أكُن وعيْشِـــكِ أنْسَـــاهُ إلـــى يَـــوْم أُقْبَـــرُ[40]

ولم يكتفِ الشاعر بذكر لقبه في أشعاره، بل نجده يذكر كنيته واسمه كثيرًا في شعره الغَزَلِيّ، ومن ذلك قوله:

فأنْتَ أبَا الخَطَّابِ غيْرُ مُدَافِعٍ عَلَيَّ أميرٌ مَا مكَثْتَ مُؤَمَّرُ[41]

ومن أشعاره التي ذكر اسمه فيها قوله:

مَا وافَقَ النَّفسَ مِنْ شَيْء تُسَرُّ بهِ وَأَعْجَبَ العَيْنَ إلّا فوْقَهُ عُمَرُ[42]

ويقول أيضا في ذكر اسمه، وذلك في انشغال النساء به كثيرًا حتى في الطواف في الحج:

قالت لِتِرْبٍ لها مُلاَطفةً لَتُفسِدِنَّ الطَّوافَ في عُمَرِ[43]

ولا نغالي إذا قلنا: إن الشاعر من خلال ذكر اسمه ولقبه وكنيته كثيرًا في أشعاره الغزلية يعدُّ مظهرًا بارزًا من مظاهر نرجسية عمر بن أبي ربيعة.

2. جمالية البنية السردية

تميّز عمر بن أبي ربيعة عن شعراء عصره بتقنية السرد القصصي في شعره الغزلي، وفاق نظراءه من الشعراء في ذلك العصر.

ولا شكّ في أن هذا الأسلوب السّرديّ يعطي غزله طرافة خاصة؛ إذْ يبعث فيه الحياة، ويجعله زاخرًا بالأحاسيس والمشاعر، لا أحاسيس الشاعر ومشاعره فحسب، بل وأحاسيس الفتيات والنساء في عصره ومشاعرهن أيضا؛ إذ أصبح شعره صوت نفسه وصوت المرأة التي كانت تعاصره، فكل محبوبة له تظهر في غزله مع أخواتها وصديقاتها وجواريها، ويدور بينهن الحوار تارة من ورائه، وتارة أخرى أمامه وخاصة في أوقات الوداع، وله في وصف هذه الأوقات طرق كثيرة، وقد استعان في جوانب منها بمخيلة (القاصّ البارع)، ومن ذلك قوله -وقد أمضى مع صاحبته الليل كله حتى تنفّس الصبح، وخافت أن يتّهمها الناس-:

بِتُّ في نِعْمةٍ وباتَ وِسادي ... مِعْصَمًا بَيْن دُمْلُجٍ وسِوَارِ
ثُمّ إنَّ الصَباحَ لاحَ ولاَحتْ ... أنْجُمُ الصُّبْح مثْلَ جَزْعِ العَذَارِي
فنَهَضْنا نَمْشِي نُعَفّي بُرودًا ... ومُروطًا وهْنًا على الآثارِ[44]

إن غزل عمر في معظمه بُنِي على هذا النحو من البناء السرديّ، ونلاحظ فيه أن الخيال قد أدّى دورًا مُهمًا في هذه القصص، فهو قاصّ في غزله يتَخَيّل، ثم يَقصّ ما يتخيّل، سواء حين يصف مغامراته، كما صنع في المغامرة السابقة، أو حين يصف أحاديث النساء، يقول:

قالتْ لِتِرْبَيْها بِعَمْرِكُما ... هَلْ تَطْمَعَان بِأنْ نَرَى عُمَرَا
إني كأنَّ النفسَ موجِسَةٌ ... ولِذاكَ أطْمَعُ أنه حضَرَا
فأجَابتاها في مُهَازَلَةٍ ... وأسَرّتا مِنْ قوْلِهَا سَخَرَا
إنّا لَعَمْرُكَ مَا نَخَافُ وما ... نَرْجو زِيَارةَ زَائِرٍ ظُهُرَا[45]

فقد استطاع الشاعر أن ينفذ إلى عواطف المرأة التي تحضّرت في عصره حين تحب، وما يكون بينها وبين أخواتها، أو جواريها من أحاديث عن حبها وعن كلفه بغيرها وكلفها به، وبذلك يعطينا صورة حية للمرأة المتحضرة وما قد يمر بها من هواجس ووساوس، وما يداعب خيالها من أفكار وأوهام.

ومن جماليات السرد القصصي في غزل الشاعر قصيدته (الرائية) التي تضمنت قصته مع حبيبته (نُعْم)، وهذه القصة تتوافر فيها معظم عناصر السرد القصصي، يقول في مطلعها:

أمِنْ آلِ نُعْمٍ أنتَ غادٍ فمبْكِرُ غداةَ غَدٍ أمْ رائحٌ فمهجِّرُ[46]

إنها نموذج واضح للقصة الشعرية التي تتعدَّد فيها الأصوات والشخوص، وتتنامى فيها الأحداث وتتصاعد حتى تصل إلى ما يشبه (العقدة)، ثم تأخذ في الانفراج والحل معتمدة على عنصري الإثارة والتشويق، وقد اتكأ الشاعر فيها على عنصر الحوار لضمان حركة القصيدة وحيويتها، وهذا الحوار يعكس التوتر الدرامي، ويصل إلى ذروته فيما يشبه العقدة، حيث يحاول عمر أن يجد له مخرجًا لذهوله مع (نُعْم) ونسيان نفسيهما حتى الصباح، والقصيدة طويلة جدًا، ولكنّا سنختار منها بعض المقاطع، يقول في بداية قصيدته:

تَهيمُ إلى نُعْمٍ فلا الشَّمْلُ جامعٌ ولا الحَبْلُ مَوْصُولٌ ولا القلبُ مُقْصِرُ

ولاَ قُرْبُ نُعْمٍ إنْ دَنَتْ لَكَ نافِعٌ ولا نَأْيُها يُسْلِي ولا أنْتَ تَصْبِرُ[47]

فالشاعر هنا ينطلق في البناء السردي مع شريط الأحداث زمنيا من (الآن) أي الزمن الحاضر إلى الزمن الماضي، ويؤكد على أن الذات من (نعم) قد تشتّتت وتقطّعت الأوصال، فقربها لا يفيد، وبُعْدها لا يسلي، فالشاعر -بهذه المعاني- يبدو وكأنه يسلّط سيف انتقامه على المجتمع والتقاليد البائدة والظالمة -في نظره- وهو ما يتجلى في ظاهرة الفروسية في الحب؛ إذْ يتجشّم الشاعر الأخطار ويغامر حتى يصل إلى هدفه ومرامه؛ ليظهر نفسه بطلًا وفارسًا مغوارًا، يقول:

فلمّا رأَتْ مَنْ قَدْ تَنَبّهَ مِنْهمُ وأيْقاظَهُمْ قَالتْ: أشِرْ كيْف تَأمُرُ

فَقُلْتُ أُبَادِيهم فإمّا أفوتُهُم وإمَّا أنْ ينالُ السَّيْفُ ثأْرًا فيَثْأَرُ [48]

إن الشاعر هنا يُمَزِّق طوق الجمود في طبيعة مجتمعه الساكن، فهو يمثل هذه المغامرة العاطفية غير آبه بالرقباء والأعداء.

والجمال السردي يتضح في هذه الأبيات التي تتأزم فيها هذه الأحداث وتصل إلى العقدة، يقول:

فلمَّا تَقَضَّى الليلُ إلَّا أقَلّهُ وكادَتْ تَوَالِي نَجْمِهِ تَتَغَوَّرُ

أشَارَتْ بِأَنَّ الحَيَّ قدْ حانَ منْهُمُ هُبُوبٌ ولَكِنْ موْعِدٌ مِنْكَ عَزْوَرُ

فما راعَنِي إلّا مُنَادٍ تَرَحَّلُوا وقدْ لاحَ مَعْرُوفٌ مِنَ الصَّبْح أشْقَرُ [48]

نرى أن الجمال السردي يتجلى بوضوح تام في بروز (العقدة) وأيضا في تحديد فاعلية الحبكة القصصية حتى تصل إلى الذروة، وتتجلى العقدة والتأزّم من خلال الجمل الآتية: (فلما تقضى الليل إلا أقله، أشارت بأن الحيّ قد حان منهم هبوب، فما راعني، وقد لاح معروف من الصبح، فلما رأت من تنبّه منهم، قالت أشر كيف تأمر؟)، وهكذا يتوالى البناء السردي إلى أن يأتي بـ(الحل) الملائم (يقوم فيمشي بيننا متنكرا فلا سرّنا يفشو ولا هو يظهر)، حيث يقول:

فإنْ كانَ ما لا بدّ منْه فَغَيْرهُ مِنَ الأمرِ أدْنَى لِلخَفاءِ وأسْتَر

أَقُصُّ علَى أُخْتَيّ بَدْء حَديثِنا ومَالِيَ مِنْ أنْ تعْلما مُتَأخّرُ

فَقَالتْ لأُخْتَيْها: أعِينَا علَى فتَىً أتى زائرًا، والأمرُ للأَمرِ يُقْدَرُ

قالت لها الصُّغْرى: سأعطيه مِطْرَفِي ودِرْعِي، وهذا البُرْدَ إنْ كانَ يحْذَرُ

يقومُ فَيَمْشِي بيْنَنَا مُتَنَكِّرًا فلا سِرُّنا يَفْشُو، ولا هُوَ يَظْهَرُ [50]

وقد شَكّل الحوار بين الشاعر والحبيبة (نُعْم)، وكذلك الحوار بين الحبيبة وأخواتها ملمحًا جميلا في بنية السرد في هذه الأبيات؛ ما دفع بالأحداث السردية دفعًا نحو الانفراج والحل. وتأتي أهمية العملية السردية في مجموعة من الأصوات بدلَ الصوت الواحد، يتخللها حوار ذكي بعبارات حوارية مثل: (قلت، قالت) نحو قوله:

فَقلْتُ لهـا: يـا هـمَّ نَفْسـي ومُنْيَتِي ألاَ لاَ وبيْـــتِ الله إنِّـــي مُهَـــبَّرُ
فقَالَتْ: فَإنَّا قَدْ بَذَلْنا لَكَ الْهَوى فبِالطّـــائرِ الميْمُـــونِ تُلقَـــى وَتُحْبَـرُ
فقُلْتُ لهـا: إنْ كُنْـتِ أَهْـلَ مَـوَدَّةٍ فَمِيعَـــادُ مـــا بَيْنِـي وبَيْنَـــكِ عَـــزْوَرُ
فَقَالـتْ: فَإنَّـا قـدْ فَعَلْنَـا وقَـدْ بَـدَا لنـا عِنْـدَ مـا قالَـتْ بَنَـانٌ وَمِحْجَـرُ[50]

نلاحظ في هذه الأبيات إلحاح الشاعر بوضوح على ذكر هذه الأفعال الحوارية) قال، قلتُ، قالتْ)، وقد أثراها وأغناها بالعناصر الدرامية في تشكّلاته المختلفة، حيث يتّصف بالمراوغة بما يفسر ذلك التجاوب والتناغم بين الشاعر وبين الحبيب. ويكشف الشاعر في حواراته بجلاء تام عن صورة المجتمع النسائي، وما يدور بينهن من الأحاديث التي توصف بأنها أحاديث يلفّها الشكّ والخوف والتّردّد.

3. شعرية الوصف

برع عمر بن أبي ربيعة في وصف جمال المرأة بكل تفاصيله وتقاسيمه من شعر رأسها إلى أسفل قدميها في شعره الغزلي، فقد كان عمر يكثر من استخدام ألفاظ الوضاحة والبياض في وصف وجه المرأة، والسحر والحور والسهام والزرقة في العين، والتكحيل الطبيعي والغض والاتساع في العين وفي البياض والسواد فيها، وفي جمال الأنف ونعومة الخد، وسوى ذلك من أوصاف جميلة وبديعة.

والآن سنسلط الضوء على بعض النماذج الشعرية في وصف وجه المرأة، فهو يستخدم التشبيه بالشمس لصاحبته بالتفنن والتنوع، يقول:

وهي كالشَّمسِ إذ بَدَتْ في ضُحاها فأَبانتْ للنّاظرين طُلوعا (52)

ويبدع عمر في وصف صاحبته فيرى أن جمال شمس الضحى وحيدا يشبه جمال صاحبته، فيقول:

لمْ يُقارِبْ جَمَالَهَا حُسْنُ شَيْءٍ غَيْرَ شَمْسِ الضُّحَى عَلَيْهَا نهَار(53)

ويستخدم الشاعر الشمس والقمر كليهما لتشبيه صاحبته، فهي في الليل بدر وفي النهار شمس، وهي كذلك شمس في زينتها وبدر إذا تجردت من الزينة، يقول:

مُثْقَلاتٌ يُزْجِينَ بَدْرَ سُعُودٍ وَهْيَ في الصُّبْحِ مِثْلُ شَمْسِ النَّهَارِ(54)

ويقول:

شَمْسُ النَّهَارِ إذَا أرَادَتْ زِينَةً والبَدْرُ عَاطِلَةً إذَا تَتَجَرَّدُ (55)

وأما وصف جمال العيون، فقد أبدع فيه الشاعر؛ لأن العين أكثر جاذبية من بين أعضاء الوجه، وتتجلى فيها علامات الجمال والحسن، يقول:

وغَضِيضِ الطَّرْفِ مِكْسَال الضُّحَى أحْورِ المُقْلَةِ كالرِّيمِ الأغَنْ (56)

يصف الشاعر جمال المرأة من عينها الفاترة التي تخفضها، ولم يكتف بذلك بل تغزّل بأن مقلتها (عينها) فيها حور، أي شدة بياض بياضِها مع شدة سواد سوادِها، ويُشَبّه أيضا هذه المرأة الحبيبة بالغزالة في رقّتها وحسنها وصوتها الأغن الجميل.

ويصف نظرة عين الحبيبة إليه بلغة الإشارة، وهذه اللغة لا يعرفها إلا المحبون؛ فالعينان تنطقان قبل اللسان وبدون مساعدة منه، وتفصحان عما تريدان، يقول الشاعر:

وإذَا رَنَتْ نَظَرَ الَّنزِيفُ بِعَيْنِهَا فعَرَفْتُ حَاجَتَهَا وإنْ لمْ تَنْطِقِ[57]

ويصف عمر الخدود بالأسالة والنعومة والبياض الذي يسحر الناظر إليه، فيقول:

وَخَدٍّ أسَيلٍ كالوَذِيلَةِ نَاعِمٍ مَتَى يَرَهُ رَاءٍ يُهِلَّ ويُسْحَرِ[58]

ويصف أيضا وجه الحبيبة بأنه ناعم وناصع مثل الشمس في الوضوح والبياض والإشراق:

أسِيلُ المُحيّا هَضَيمُ الحَشَا كشَمْسِ الضَّحَى واضِحًا أَزْهَرَا [59]

ونخلص إلى القول: إن الشاعر قد تفَنّن في وصف تقاسيم وجه المرأة التي تغزل بها، فشَبّهها بالتشبيهات البديعة بالشمس والقمر والمصابيح، وكذلك تفنّن الشاعر في وصف العين والخد بأوصاف جميلة، وبيّن لنا معايير تصوير الجمال في ذلك العصر، وخلّف تراثا لغويًّا؛ لكي نفهم اللغة والمجتمع الذي عاش فيه الشاعر.

الخاتمة:

في نهاية هذا التطواف في شعر (غَزَل) عمر بن أبي ربيعة توصل هذا البحث إلى النتائج الآتية:

1. **كشف** هذا البحث عن حياة عمر بن أبي ربيعة، وأماط اللثام عن أثر البيئة والحياة الحضرية في غزله، وكذلك وضَّح ماهية النرجسية من حيث اللغة والاصطلاح، وتطور هذا المصطلح.

2 . أن **ظاهرة النرجسية** في شعر عُمَر تُعَدُّ ميزةً كبيرةً تُمَيّز غَزَله عن سائر نظرائه في الغَزَل الحضَريّ في بيئة الحجاز في العصرِ الأُمويّ.

3 . **ظهرت مغالاة الشاعر في غزله** لدرجة عشقه لنفسه، وإعجابه الشديد بمكانته وجماله.

4 . ابتدعَ الشاعر لنفسه طريقة جديدة ومغايرة لشعراء الغزل في عصره، باتِّخَاذِه الغزل تسلْيَةً يثرثر بها ويُمْلي بها الفراغ، ويُرْوي بها هذا الشباب، ويُعوِّض ما فاته من مجد الحكم وسلطان السياسة، إلا أننا نرى في هذا الغزل أنانيةً لا نُحبُّها ولا نؤثرها، ولا نفضِّل هذا التمركُز حول النفس، حين يستهدف التمدُّح بها والافتخار بما يكون منها.

5 . كشف هذا البحث عن الأسباب والبواعث التي وقفت وراء نرجسية الشاعر، متمثلة في نشأة الشاعر وأسرته الثرية، وبيئته الحضرية، وخضوعه للدلال الأنثوي، وضعف التعصب والفخر بالقبيلة.

6 . **توصل هذا البحث إلى أبرز المظاهر النرجسية وتجلياتها** في غزل الشاعر، متمثّلة **أولا:** في (المظاهر النفسية التي ترتكز على الذات) من حيث الفخر بالنفس، والتغزل والإعجاب بها، وتصوير شدة كلف النساء به، وإظهار تمنّعه ودلاله. **وثانيا:** في (المظاهر الفنية والجمالية) من حيث الإكثار من ذكْر اسمه ولقبه وكنيته، وجمالية البنية السردية، وشعرية الوصف.

الهوامش والإحالات:

(1) ينظر: علي بن الحسين الأصفهاني، كتاب الأغاني، تحقيق: إحسان عباس، وإبراهيم السعافين، دار صادر، بيروت، ط1، د.ت: 62/1.

(2) ينظر: عبدالله بن مسلم بن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط.1، 1996م: 553/2.

(3) ينظر: عمر بن أبي ربيعة، الديوان، شرح: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، 1952م: 6.

(4) ينظر: ناصر دحان، نصوص من الشعر القديم - تحليل فني وقراءة نقدية، المطبعة الأكاديمية، تعز، ط.1، 2012م: 110. شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، دار المعارف، القاهرة، ط7، 1977م: 222.

(5) ينظر: عمر بن ربيعة، ديوانه: 19.

(6) ينظر: شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي: 228. ناصر دحان، نصوص من الشعر القديم: 110.

(7) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي -العصر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، ط11، د.ت: 354.

(8) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، معجم المصطلحات الفقهية، الكويت 2012م، مادة: [نرجس].

(9) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، القاهرة، ط5،.2011م: مادة [نرجس].

(10) ابن منظور، لسان العرب: مادة: [نرجس].

(11) أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، القاهرة، 2008م، مادة: [نرجس / نرجسية].

(12) محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999م: 133/2.

(13) ينظر: بيلا غرانبرغر، النرجسية. دراسة نفسية، ترجمة: وجيه أسعد، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2000م: 9.

(14) المرجع نفسه: 10.

(15) محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب: 852.

(16) ينظر: موسى شاكر، اضطرابات الشخصية، فاء للنشر والتوزيع، عمان، 2008م: 91.

(17) ينظر: حسناء قدح، النرجسية وتجلياتها في غزل ابن زيدون، مجلة جامعة دمشق، مجلد (29)، العددان (1، 2)، دمشق، 2013م: 191.

(18) طه حسين، حديث الأربعاء، دار المعارف، القاهرة، ط14، 2015م: 298/1.

(19) ينظر: دليلة بوراس، شعرية السرد عند عمر بن أبي ربيعة، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة أم البواقي، الجزائر، 2015: 69.

(20) ينظر: شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي: 128.

(21) ناصر دحان، نصوص من الشعر القديم: 110.

(22) شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي: 229. وينظر: ناصر دحان، نصوص من الشعر القديم: 110.

(23) شكري فيصل، تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، مطبعة جامعة دمشق، ط1، 1959م: 30.

(24) محمد النويهي، ثقافة الناقد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط1، 1949م: 275.

(25) شكري فيصل، تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام: 38.

(26) عمر بن أبي ربيعة، ديوانه: 89.

(27) المصدر نفسه: 466.

(28) المصدر نفسه: 356، رجعته: رددته، الأيمان: جمع يمين، **تَألَّى**: حَلَف.

(29) المصدر نفسه: 419، الكاشح: المبغض والمفسد بين المحبين، المُحَرِّش: المملوء بالعداوة، يُعتب: يُلام.

(30) المصدر نفسه: 396.

(31) المصدر نفسه: 127.

(32) المصدر نفسه: 115.

(33) المصدر نفسه: 143. يعدو بي: يسرع بي، الأغر: الذي في جبهته بياض.

(34) المصدر نفسه: 137.

(35) المصدر نفسه: 479.

(36) المصدر نفسه: 460، تأّطر: أصله تتأطَّر: تتثنّى وتتبختر.

(37) المصدر نفسه: 460

(38) المصدر نفسه: 384.الصُّوريْن: موضع ببقيع المدينة، جاهدة: مؤكّدة عزمها، الترب: المساوون لها في السن، والمناصف: الأتباع: فوة الناس: المختار منهم.

(39) عباس محمود العقاد، شاعر الغزل عمر بن أبي ربيعة، مؤسسة هنداوي للتعليم وللثقافة، القاهرة، مصر، 2013م: 25.

(40) عمر بن أبي ربيعة، الديوان: 85.

(41) المصدر نفسه: 89.

(42) المصدر نفسه: 112.

(43) المصدر نفسه: 137.

(44) المصدر نفسه: 127.المعصم: اليد أو موضع السوار خاصة، الدملج: ضرب من الحلي يلبس في المعصم.

(45) المصدر نفسه: 147.

(46) المصدر نفسه: 84.

(47) المصدر نفسه: 84.

(48) المصدر نفسه: 90.

(49) المصدر نفسه: 90. معروف: جاء في رواية مفتوق، ومعنى معروف أشقر، أي ظهر الصباح.

(50) المصدر نفسه: 92.

(51) المصدر نفسه: 158. مُهَبَّر: مقتول، تحبر: بالبناء للمجهول تسر أو تنعم أو تكرم، وفي القران الكريم: (فهم في روضة يحبرون).

(52) المصدر نفسه: 183.

(53) المصدر نفسه: 125.

(54) المصدر نفسه: 127

(55) المصدر نفسه:315

(56) المصدر نفسه: 268. غضيض الطرف: فاتر الجفن، وهو مما يمتدحه العرب، مكسال الضحى: كناية عن كونها مخدومة فلا تقوم لحاجتها، المقلة: العين، وحوَرها: شدة بياض بياضِها وشدة سواد سوادِها، الريم: الظبي، الأغن: ذو الغنة وهو الصوت الذي يخرج من الخيشوم.

(57) المصدر نفسه: 441. رنَت. نظرت، النزيف: المحموم أو السكران.

(58) المصدر نفسه: 96، أسيل: ليّن ناعم طويل، الوذيلة: المرآة والقطعة من الفضة، يهل: يرى الهلال.

(59) المصدر نفسه: 139. أسيل المحيّا: ناعم الوجه، هضيم الحشا: ضامر البطن، أزهر: أبيض.